

أو بين رجال. قالت أختي: فإني أرى هذين الرجلين رأي العين وأعرفهما كما أعرفك، وستريهما وستعرفينهما، وستبغضين أحدهما أشد البغض وستحبين الآخر حبًا كثيرًا! وهذا الهواء يضطرب ويضطرب معه صوت المؤذن يدعو إلى الصلاة، والناس يستيقظون ويخرجون من منازلهم أفرادًا بين ذاهب إلى المسجد وذاهب إلى الحقل، ونحن نستقبل هذا الصبح الشاحب بنفوس شاحبة وقلوب واجفة ووجوه حائلة، لو استطعنا لأحجمناه، ولكننا ندعى إلى الإقدام ولا نستطيع امتناعًا على هذا الدعاء. هذان الجملان قد هُيئًا للرحيل، وهذا خالنا قد قام عندهما كأنه الشيطان، وهذه أمنا تدعونا إلى الخروج في رفق، وها نحن أولاء نودع من عرفنا من أهل الدار، ثم تمضي ساعة وساعة وإذا ضوء الضحى يغمرنا في هذا السهل الريفى الجميل الذي تمتد فيه عن يمين وشمال هذه الحقول النضرة ترتاح إليها النفوس والأبصار، ولكن هناك نفوسًا لا ترتاح وإنما هي مضطربة دائمًا، وأبصارًا لا تستقر وإنما هي زائغة دائمًا ... إلى أين يمضي بنا هذان الجملان؟!